

خطاب السيد مصري الفقي
رئيس الجمعية الفرانكفونية لدراسات الشرق الأوسط – AFEMO
باريس، 2006/04/29

سيداتي، سادتي،
أيها الأصدقاء الأعزاء.

بادئ ذي بدء وباسم كل أعضاء الجمعية الفرانكفونية لدراسات الشرق الأوسط، أود أن أبعث بتعازي لضحايا التحرك المعادي للمسيحيين المصحوب بالقتل و السلب و النهب التي عرفتها الإسكندرية مؤخرًا. أتمنى أيضا، الشفاء العاجل لكل ضحايا تفجيرات سيناء. أربط بين المأساتين ليقيننا بأنهما لا تتفك إحداهما عن الأخرى: إن الذين يوحون بارتكابها يمتلكون اللغة نفسها و الأهداف نفسها.

إن نظام القاهرة و وفاء لنفسه، يستغل هذه الأحداث المأساوية للإبقاء على حالة الطوارئ المعمول بها منذ 1981 و للاستمرار في مطاردة عناصر المعارضة المعتدلين. فالنظام الذي لا يخشى قنابل الإسلاميين بالقدر الذي يخشى اتهام سلطته، يلوح بتهديدات العنف الإسلامي- خصوصا أمام مموليه الدوليين- لتبرير الإنحباس التام للنظام الذي وحده يضمن له البقاء. إن نظاما يفرض نفسه بالعنف على شعبه يبقى ضعيفا؛ لانعدام الشرعية الشعبية، بالرغم من الانتصارات الانتخابية المكسوبة بنسب خيالية. هذا ما يفسر أنه ولكي يثبت أقدامه يحتاج باستمرار إلى حماية خارجية. إن نظام حسني مبارك العسكري ليس لديه كثير من الخيارات. عليه أن يراهن على حسن إرادته لمقاومة التطرف الديني و اللاتسامح الذين يهددان كل البناء الجمهوري الذي ما فتئ يحلم بتجسيده. لذا، ينبغي عليه أن يحدث إصلاحات عميقة، بالخصوص في النظام التربوي والإعلامي. إن على المجتمع الدولي أن يشترط تطبيق هذه الخطوات بالمساعدات التي يمنحها للنظام المصري.

على الصعيد الفرنسي، فوسائل الإعلام الفرنسية ليست دوما موضوعية عندما يتعلق الأمر بالشرق الأوسط. لقد انشدهنا للضحالة الفكرية وسوء نية بعض الصحافيين الفرنسيين الذين قدموا تحركات الإسكندرية الدموية المعادية للمسيحيين المصحوبة بالنهب والسلب كصراع بين الأديان. هؤلاء الصحافيين، و هم يبرؤون ساحة الإسلاميين القتلة من دم الأقباط، إنما يستأنفون بلاغة الرئاسة المصرية الكلاسيكي، التي تجهد نفسها لتعطي الانطباع أننا أمام حلقة العنف المفرغ. إننا و الحال هذه، و بناء على كل الاحتمالات، نجد أنفسنا أمام عنف من جانب واحد، و الذي يجد أصله في المساجد ليصب في الكنائس و دكاكين الأقباط. هذه الطريقة لتقديم الأشياء غير مقبولة؛ لذا وجهنا رسائل احتجاج إلى الصحف و الجهات الاعلامية التي يهملها الأمر و طالبنا بأن يؤخذ الموضوع بنزاهة و حذر من جانب وسائل الإعلام الفرنسية.

و كما أسلفت القول، أتيت أحمل إليكم دعم الجمعية الفرانكفونية لدراسات الشرق الأوسط، كما أتيت أقاسمكم منظورنا لمصر و لمنطقة الشرق الأوسط الذي يكون بلد النيل جزءا منه. منظور الجمعية الفرانكفونية لدراسات الشرق الأوسط هو منظور لمصر عادلة، لمصر كل المصريين، موحدة لمواطنين – وليس لمؤمنين-، بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية، حول عقد وطني و مشروع سياسي. إن الصراعات الداخلية التي تلغم مصر لا تعرض وحدته وهويته للخطر فحسب بل تولد بالخصوص ضياع المعالم من شأنه أن يضعف تماسكهم الاجتماعي. إن الهوية المصرية اليوم أمام تحدي تاريخي. و سيظل الأقباط على الدوام من يمهد السبيل إلى الجواب الفعلي و الايجابي عن سؤال طابع المواطن المصري و مصر.

إن الذين يقفون خلف التحرك المعادي للمسيحيين المصحوب بالقتل و النهب والسلب و كذلك التفجيرات التي عرفتها بلادنا مؤخرا هم الأعداء الطبيعيون للمنظور الذي ندعمه.

أمام كائنات هيئت للتعصب تجعل من القتل و التخريب قضية للدفاع و الإيمان، سنستمر في إعلان تفضيلنا للحياة التي وهبنا الله إياها. إنهم وهم تحركهم دوافع شيطانية و لا عقلانية في الغالب و حقد يفوق كل الأبعاد، فأعداءنا لا يعرفون حدا لاستعمال العنف. لذا؛ ينبغي علينا أن نمتلك الوسائل للدفاع عن أنفسنا بوضع مصالحنا السياسية تحت تصرف مؤسسات تمثيلية، مسؤولة، قادرة على إيجاد التوازن الجيد بين يقظة معرزة و ضرورة علاقة نفعية "برجماتية" مع النظام المصري. موازاة مع ذلك، ينبغي علينا الترويج للقيم الديمقراطية و حقوق الإنسان التي تشكل اليوم الضمانة والوحيدة للسلم العادل و الدائم في مصر، و في الشرق الأوسط أيضا. علينا في هذه المسيرة لصالح حقوقنا، أن نتقدم يدا في يد ونقترب أكثر فأكثر من أولئك الذين من بين الشعوب المحيطة بنا، يعانون المشاكل نفسها. وحدها مجموعة شرق-أوسطية موحدة تستطيع أن تواجه تحديات جديدة لعالم يعرف خلخلة جراء التهديد الإسلامي. إن الوحدة لا تعني النمطية، لكن تنسيق المواقف السياسية و استخدام متشاور لوسائل الضغط.

في هذا الاتجاه، يجب علينا أن نتقدم شيئا فشيئا في اتجاه التقارب مع ممثلي التيارات الأساسية للمعارضة الإصلاحية في الشرق الأوسط. إن الجمعية الفرنكفونية لدراسات الشرق الأوسط تنظر، في الأشهر القادمة، الى خلق لجنة تنسيق بين الأحزاب و المنظمات الشرق-أوسطية التي تتبنى العلمانية و قيم الديمقراطية. و سيتم بطبيعة الحال، استدعاء مختلف المنظمات الممثلة للأقباط في مصر من أجل الانضمام إلى هذا الميثاق.

على الصعيد الإقليمي، فمشروع ميثاق الشرق الأوسط الذي ندعمه هو الأمل الوحيد الذي من شأنه أن يجمعنا بجيراننا العرب. إن النزعة الإسلامية و العروبية تشكلان على حد سواء التهديدان اللذان يلقيان بثقلهما على قدرنا المباشر، و على المستقبل البعيد للمنطقة التي نسكن فيها. إن إخراج مشروع الميثاق هذا إلى حيز الوجود يتطلب الأخذ في الحسبان خصوصيات كل بلد على حدا في احترام للاختلافات التي تثرينا، لهوية كل مجموعة و حرية كل أقليات المنطقة، انطلاقا من أدناها و أبسطها: الفرد. هذا الاحترام لهويات كل واحد على حدا هو السبيل الوحيد لتفادي مشاعر الظلم التي تشكل التربة الخصبة للتطرف.

إن تجسيد مشروع ميثاق الشرق الأوسط على أرض الواقع يتطلب حركة مدنية فعلية، و إيماننا بقيم الحداثة الديمقراطية التي يجب أن توحدنا اليوم في نضالنا الوجودي لمواجهة التحالف القومي-الإسلامي. فالحرية و الكرامة لا تمنحان، إنما تنتزعان انتزاعا. إن جناحي ميثاقنا، اللذين لن نستطيع أيما عاصفة أن تكسر، هما الإيمان والإرادة. أنا على يقين و بمعونة الله، أننا سنجد قوتنا في إيماننا و في إرادتنا.

باسم الجمعية الفرنكفونية لدراسات الشرق الأوسط، أشكركم جميعا.